بسم الله الرحمن الرحيم

الأنوار السنيّة
في
إثبات التوسل والتبرّك بخير البرية

إعداد

السيد الشريف الدكتور محمد رئيس الشامي

أستاذ الدراسات الإسلامية

بجامعة كراتشي باكستان

دار الماتريدي

پیشکش : مان جی سرکار ٹرسٹ پاکستان Reg:333

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

دار الماتريدي

للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان:

المزرعة. شارع نويري. بيروت. لبنان.

البريد الإلكتروني:

darulmaturidi٠١@gmail.com

تلفون:

+٩٦١٧٠٣٢٠١٦٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نُبْذَة تعريفِيَّة عن حياة الشيخ الدكتور رئيس الشامي

مولده وحياته العلمية:

ولد السيد الشريف محمد رئيس الشامي عام ١٩٩٠م بكراتشي باكستان، وحفظ القرآن في العاشرة من عمره في عام ٢٠٠٠م، التحق بالمعهد الديني وأظهر نبوغًا مبكرًا لفت إليه الأنظار؛ حتى إنه التحق بالجامعة النظامية بلاهور وحصل على شهادة الماجستير عام ٢٠١٣م، وما إن أتمّ الدراسة في الجامعة النظامية حتى تعلّق قلبه بالجامعة النعيمية للتخصص في الفقه الحنفي.

وقد حاز على شهادة الدكتوراه في العقيدة من الجامعة العالمية في بيروت بعد أن ناقش أطروحة تحت عنوان "**إشارات المرام من عبارات الإمام**" للشيخ كمال الدين أحمد بن الحسن بن يوسف البياضي المتوفى ١٠٩٨هـ. من أول الكتاب إلى نهاية الكلام عن صفة المشيئة، (دراسة وتحقيق) وذلك بتقدير ممتاز ولله الحمد والمنة.

الدرجة العلمية:

- عُيّن مُدرّسًا بمعهد وقار العلوم سنة ٢٠١٤م.
- عُيّن مديرًا لدار العلوم العليمة في جزيرة موريشيوس سنة ٢٠١٥م.
- عُيّن عميدًا للعلوم العربية بكلية نور حمزة الإسلامية بكراتشي سنة ٢٠٢٠م.
- عُيّن أستاذا زائرًا بجامعة كراتشي بكلية أصول الدين بكراتشي باكستان سنة ٢٠٢٠م.
- عُيّن خطيبًا بالجامع بيت المعظم سنة ٢٠٢١م.
- عُيّن رئيسًا لمعهد الأعلام الماتريدية لنشر اللغة العربية سنة ٢٠٢١م.
- أسّس المعهد دار الهداية في كراتشي سنة ٢٠٢٢م.
- عضو في اللجنة العلمية في دار التحقيقات العالمي.

ومن تأليفاته:

- إشارات المرام من عبارات الإمام للإمام البياضي (تحقيق).

- هداية الجنان في تنزيه الله عن الجسمية والجهة والمكان.
- عقيدة المسلمين.
- نيل السعادتين في شرح مقتضى الشهادتين للإمام عبد الغني النابلسي.
- شرح أوجز المختصرات في علم الحال.
- العقيدة المرشدة.
- *عقيدۂ راہِ ہدایت*.
- أهل السنة هم الأشاعرة والماتريدية.
- الثقافة الإسلامية. (الجزء الأول).
- الثقافة الإسلامية. (الجزء الثاني).
- الثقافة الإسلامية. (الجزء الثالث).
- الثقافة الإسلامية. (الجزء الرابع).
- الثقافة الإسلامية. (الجزء الخامس).
- الأنوار السنية في إثبات التوسل والتبرك بخير البرية.

عقيدة أهل السنة والجماعة

اعلم أنه اتفق أهل السنة والجماعة[1] على أصول من أركان الدين، كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ تعلُّمه، ولكل ركن منها شُعَب، وفي شعبها مسائل اتفق أهل السنة والجماعة فيها على قول واحد، وضلّلوا من خالفهم فيها. ومن هذه الأركان: معرفة صانع العالم وصفات ذاته، مع تنزيهه عن أوصاف المخلوقين.

فعقيدة المسلمين -سلفًا وخلفًا- بلا شكٍّ ولا ريب، أنّ الله سبحانه وتعالى هو خالق العالم، وهو القائم بنفسه، المستغني عن كل ما سواه، المحتاج إليه كل ما عداه، ولا أحد يستغني عن الله طرفة عين، والله لا يحتاج لشيء من خلقه، ولا ينتفع بطاعتهم، ولا ينضرُّ بمعاصيهم، ولا يحتاج ربّنا إلى محلّ يحلّه ولا إلى مكان يقلّه، وأنه ليس بجوهر ولا عَرَض وأنّ الحركة والسكون والذهاب والمجيء والكَوْن في مكان، والاجتماع والافتراق،

(١) قال المحدث اللغوي الفقيه الحنفي مرتضى الزبيدي في شرحه: "إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية". الزبيدي مرتضى محمد بن محمد الحسيني (-١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، **إتحاف السادة المتقين**، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج٢، ص٦.

والقرب والبعد من طريق المسافة، والاتصال والانفصال، والحجم والجرم، والجُثَّة والصورة والشكل والحيّز والمقدار والنواحي والأقطار والجوانب والجهات، كلها لا تجوز عليه تعالى، لأنّ جميعها توجب الحدّ والنهاية والمقدار، ومن كان ذا حدٍّ ونهايةٍ ومقدارٍ كان مخلوقًا، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾[1].

واعلم أنّ كل ما يتصور في الوهم من طول وعرض وعمق وألوان وهيئات، يجب أن يعتقد أنّ صانع العالم بخلافه، لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[2]. ولقول أئمة أهل السنة والجماعة

---

(١) سورة الرعد، آية: ٨.

(٢) سورة الشورى، آية: ١١.

كذي النون المصري[1]: "**مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فَاللهُ لَا يُشْبِهُ ذَلِكَ**"[2].

فالله لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية، لأنّ من لا مثل له لا يجوز أن يقال فيه: كيف هو؟ ومن لا عدد له لا يجوز أن يقال فيه: أين كان؟ لأنّ الذي أيّن الأين لا أين له، والذي كيّف الكيف لا كيف له.

والله تعالى مقدّس عن الحاجات، منزّه عن العاهات، وعن كل وجوه النقص والآفات، متعالٍ عن أن يوصف بالجوارح والآلات، والأدوات

---

(١) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، المعروف بذي النون، وهو معدود في جملة من روى "**الموطأ**" عن الإمام مالك رضي الله عنه؛ وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين، وقيل: غير ذلك. الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (-٤٦٣هـ/١٠٧٢م)، **تاريخ بغداد**، تحقيق د. بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٩، ص٣٧٣. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الإربلي (-٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، د.ت، ج١، ص٣١٥-٣١٦.

(٢) ونصّ عبارته: "وكل ما تصور في وهمك فالله بخلاف ذلك". عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (-٤٦٥هـ/١٠٧٣م)، **الرسالة القشيرية**، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، القاهرة، دار المعارف، د.ط، د.ت، ج١، ص٢٣.

والسكون والحركات، لا يليق به الحدود والنهايات، ولا تحويه الأرَضون ولا السماوات، ولا يجوز عليه الألوان والمماسّات، ولا يجري عليه زمان ولا أوقات، ولا يلحقه نقص ولا زيادات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدَعات المخلوقات.

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، بل عقيدة الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم وكلّ المسلمين، فالعاقل الفطن من تمسّك بهذه العقيدة الحقة التي تُنْجيه يوم القيامة من العذاب الدائم والخلود الأبدي في نار جهنم.

فأهل السنة والجماعة هم الذين اتبعوا الرسول ﷺ والصحابة في المعتقد، ولو كان كثير منهم مقصّرين بالفروع.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الدعوة إلى الهدى والدلالة على الخير والنصيحة للمسلمين من أفضل القربات وأرفع الدرجات وأهمّ المهمّات في الدين وذلك سبيل أنبياء الله المرسلين وأوليائه الصالحين والعلماء العاملين الراسخين في العلم واليقين، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ومولانا محمّد الرّسول الأمين والحبيب المكين خاتم النبيين وإمام المتقين وشفيع المذنبين وسيّد السابقين واللاحقين، وعلى ءاله وأصحابه المخلصين الصادقين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن التصنيف في الدين والذب عن شريعة سيد المرسلين لهو عمل جليل وصنيع عظيم يرفع صاحبه وينفع المؤمنين، ولا سيما ما كان مقصوده تعظيم سيد المرسلين، هذه رسالة أذكر فيها بإذن الله تعالى أدلّة وبينات على مشروعية التوسل والتبرك بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وأنّ ذلك هو فعل السلف والخلف، وعليه سواد الأعظم من أمّة خير البرية، بخلاف ما يدّعيه بعض الناس في هذه الأزمنة حتى خرجوا إلى الناس ببدعة تحريم التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء، وزادوا في غِيّهم وتِيهِهِم برمي أهل القبلة والملة المتوسلين بالأنبياء والصالحين بالشرك

والكفر!!! وَلَوَوْا أعناقهم عن جادّة الهدى والصواب، وغرّهم ما زيّنه لهم شياطينهم فأبوا إلّا عنادًا وإلّا تكفيرًا للأمة وتبديعًا وتفسيقًا. نسأل الله السلامة في الدين.

بيان معنى العبادة وأنّ مجرّد التوسل والاستغاثة والنداء ليس شركًا

اعلم أيّها المسلم أنه لا دليل حقيقيّ يدلّ على عدم جواز التوسل بالأنبياء والأولياء في حال الغيبة أو بعد وفاتهم بدعوى أن ذلك عبادة لغير الله لأنه ليس عبادة لغير الله مجرد النداء لحي أو ميت، ولا مجرد التعظيم ولا مجرد الاستغاثة بغير الله، ولا مجرد قصد قبر ولي للتبرك، ولا مجرد صيغة الاستعانة بغير الله تعالى أي ليس ذلك شركًا لأنه لا ينطبق عليه تعريف العبادة عند اللغويين لأنّ العبادة عندهم الطاعة مع الخضوع.

قال الأزهري[1] الذي هو أحد كبار اللغويين في كتاب "تهذيب اللغة"[2] نقلًا عن الزجاج[3] وهو من أشهرهم: قوله عزّ وجلّ: ﴿إِيَّاكَ

---

(١) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهرى، ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين في هراة بخراسان، اعتنى بالفقه فاشتهر به أولًا، ثم غلب عليه التبحّر في العربية، ومن كتبه "**تهذيب اللغة**" و"**تفسير القرآن**" و"**علل القراءات**"، توفي سنة سبعين وثلاثمائة. السبكي تاج الدين عبد الوهاب ابن تقي الدين (-٧٧١هـ/١٣٧٠م)، **طبقات الشافعية الكبرى،** تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، مصر، دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٣، ص٦٣. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ/١٥٠٥م)، **بغية الوعاة،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، ج١، ص١٩. ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي (-١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** تحقيق محمود الأرناؤوط، بيروت، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٤، ص٣٧٩.

(٢) الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد (-٣٧١هـ/٩٨١م)، **تهذيب اللغة،** تحقيق محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٢، ص١٣٨.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي، من كتبه "**إعراب القرآن**" و"**خلق الإنسان**" و"**الأمالي**"، وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (-٤٦٣هـ/١٠٧٢م)، **تاريخ**

﴿نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[1] «العبادة في لغة العرب الطاعة مع الخضوع»، ويقال هذا طريق معبّد إذا كان مذلّلًا بكثرة الوطء، ومعبّدٌ إذا كان مَطْلِيًّا بالقطران، فمعنى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: نطيع الطاعة التي يخضع معها اهـ. وقال

بغداد، تحقيق د. بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج ٦، ص٦١٣. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (-٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، **إنباه الرواة،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٢م، ج١، ص١٩٤. ابن العماد، **شذرات الذهب،** ج٤، ص٥١.

(١) سورة الفاتحة، آية: ٥.

مثله الفراء[1] كما في لسان العرب[2] لابن منظور[3] وقال بعضهم[4]: "أقصى غاية الخشوع والخضوع" اهـ وقال بعض[5]: "نهاية التذلل"، كما

---

(١) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، المعروف بالفراء، من كتبه "**مشكل اللغة**" و"**الجمع والتثنية في القرآن**" و"**اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف**"، مات ببغداد في سنة سبع ومائتين. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٦، ص٢٢٤. القفطي، **إنباه الرواة**، ج٤، ص٧. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٦، ص١٧٦.

(٢) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (-٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، فصل العين، ج٣، ص٢٧٢.

(٣) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي، ولد سنة ثلاثين وستمائة، ولي قضاء طرابلس، وكان صدرًا رئيسًا، فاضلًا في الأدب، من كتبه "**مختار الأغاني**" و"**نثار الأزهار في الليل والنهار**" و"**لسان العرب**"، توفي سنة إحدى عشرة وسبعمائة. السيوطي، **بغية الوعاة**، ج١، ص٢٤٨. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، ص٤٩.

(٤) السبكي أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (-٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، **فتاوى السبكي**، مصر، دار المعارف، د.ط، د.ت، ج١، ص١٠.

(٥) الزبيدي مرتضى محمد بن محمد الحسيني (-١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، **اتحاف السادة المتقين**، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج٥، ص٢٨.

يفهم ذلك من كلام شارح "القاموس" مرتضى الزبيدي[1] خاتمة اللغويين، وهذا الذي يستقيم لغةً وعرفًا.

وليس مجرد التذلل عبادةً لغير الله وإلا لكفر كلّ من يتذلّل للملوك والعظماء. وقد ثبت أن معاذ بن جبل لما قدم من الشام سجد لرسول الله فقال الرسول: «**ما هذا**» فقال: يا رسول الله إني رأيتُ أهل الشام يسجدون لبَطارِقَتِهم وأَسَاقِفَتِهم وأنت أولى بذلك، فقال: «**لا تفعل، لو كنت ءامر أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»،

---

(١) مرتضى محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أصله من واسط في العراق، ومولده بالهند، ومنشأه في زبيد باليمن، رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، من كتبه "**تاج العروس في شرح القاموس**" و"**إتحاف السادة المتقين**" في شرح إحياء العلوم للغزالي، و"**عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة**". الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (-١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٧، ص٧٠.

رواه ابن حبان[1] وابن ماجه[2] وغيرهما. ولم يقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كفرت، ولا قال له أشركت مع أن سجوده للنبي مظهر كبير من مظاهر التذلل.

---

(١) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، الحافظ الجليل، قال الحاكم: فيه كان من أوعية العلم فى الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال، من كتبه "**علل أوهام أصحاب التواريخ**" و"**الثقات**" و"**علل أوهام أصحاب التواريخ**"، توفى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٣، ص١٣١. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ/١٥٠٥م)، **طبقات الحفاظ**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص٣٧٥. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص٣٤.
-ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (-٣٥٤هـ/٩٦٥م)، **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٩، ص٤٧٩.

(٢) أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي بالولاء القزويني صاحب "**سنن ابن ماجه**" ، ولد سنة تسع ومائتين، توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٤، ص٢٧٩. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٣، ص٣٠٨.

وعن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ كان في نفرٍ من المهاجرين والأنصار، فجاء بعيرٌ فسجد له فقال أصحابه: يا رسول الله سجد لك البهائم والشجر فنحن أحقّ أن نسجد لك فقال: «**اعْبُدُوْا رَبَّكُمْ وَأَكْرِمُوْا أَخَاكُمْ**» رواه أحمد(1).

التوسل: هو طلب حصول منفعة أو اندفاع مضرّة من الله بذكر اسم نبيّ أو وليّ إكرامًا للمتوسل به، والله تعالى جعل أمور الدنيا على الأسباب والمسببات مع أنه قادر على أن يعطينا الثواب من غير أن نقوم بالأعمال

-ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (-٢٧٣هـ/٨٨٧م)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت، حديث (١٨٥٣)، ج١، ص٥٩٥.

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سنة أربع وستين ومائة، من كتبه "**العلل والرجال**" و"**فضائل الصحابة**" و"**المناسك**"، توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص٦٣. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٣، ص١٨٥.

-ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (-٢٤١هـ/٨٥٥م)، **مسند أحمد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٤١، ص١٩.

قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[١]، وقال: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[٢]؛ أي كل شئ يقربكم إليه اطلبوه يعني هذه الأسباب، اعملوا الأسباب فنحقق لكم المسببات، نحقق لكم مطالبكم بهذه الأسباب وهو قادر على تحقيقها بدون هذه الأسباب.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى من الأسباب المعينة لنا لتحقيق مطالب لنا التوسل بالأنبياء والأولياء في حال حياتهم وبعد مماتهم، فنحن نسأل الله بهم رجاء تحقيق مطالبنا فنقول: اللهم إني أسألك بجاه رسول الله أو بحرمة رسول الله أن تقضي حاجتي وتفرج كربي، أو نقول: اللهم بجاه عبد القادر الجيلاني ونحو ذلك فإن ذلك جائز؛ وإنما حرم ذلك الوهابية فشذوا بذلك عن أهل السنة.

ومن الأدلة على جواز التوسل الحديث الذي أخرجه البزار[٣] من حديث عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله ملائكة في**

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٥.

(٣) الحافظ أحمد بن عمرو أبو بكر البزار صاحب "**المسند الكبير**"، حافظ من العلماء بالحديث. من أهل البصرة، توفيّ سنة اثنتين وتسعين ومائتين. العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (-

الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أعينوا عباد الله»، وقال الحافظ

٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **لسان الميزان**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص٢٣٧. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٣، ص٣٨٧.

-أبو بكر البزار أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي (-٢٩٢هـ/٩٠٥م)، **مسند البزار**، تحقيق عادل بن سعد، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ح١١، ص١٦١.

الهيثمي[1]: «رواه البزار ورجاله ثقات». وحسّنه الحافظ ابن حجر[2] في "أماليه" مرفوعًا - أي أنّه من قول الرسول – وأخرجه الحافظ البيهقي[1]

---

(١) الحافظ نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان، ولد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، من كتبه "**ترتيب الثقات لابن حبان**" و"**موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**" و"**المقصد العلى في زوائد أبي يعلى الموصلى**"، توفي سنة سبع وثمانمائة. السخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (-٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، **الضوء اللامع**، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، د.ت، ج٥، ص٢٠٠. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٥٤٥. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٩، ١٠٥.

-الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (-٨٠٧هـ/١٤٠٥م)، **مجمع الزوائد**، تحقيق حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، د.ط، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج١٠، ص١٣٢.

(٢) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ولد في الثاني عشر من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، ومن كتبه "**الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**" و"**لسان الميزان**" و"**تقريب التهذيب**"، توفي بمصر سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٢، ص٣٦. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن البخاري القِنَّوجي (-١٣٠٧هـ/١٨٩٠م)، **التاج المكلل**، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج١، ص٣٥٤. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص٧٤.

موقوفًا على ابن عباس بلفظ: «**إن لله عز وجل ملائكة سوى الحفظة يكتبون ما سقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أعينوا عباد الله يرحمكم الله تعالى**».

والرواية الأولى تقوي ما ورد بمعناها من بعض الرويات التي في إسنادها ضعف، وقد تقرّر عند علماء الحديث أن الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال والدعوات والتفسير، كما ذكر الحافظ البيهقي في "المدخل"[٢].

---

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، ومن كتبه "**السنن الكبير**" و"**السنن الصغير**" و"**دلائل النبوة**"، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص٧٥. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٤، ص٨. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٥، ص٢٤٩.

-البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (-٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، **شعب الإيمان**، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج١، ص٣٢٥.

(٢) البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (-٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، **المدخل**، القاهرة، دار اليسر، ط١، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٧م، ج١، ص٣٧٢.

وروى البيهقي[1] بإسناد صحيح عن مالك الدار -وكان خازن عمر- قال أصاب الناس قحط في زمان عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتي الرجل في المنام، فقيل له: أقرئ عمر السلام وأخبره أنهم يسقون، وقل له عليك الكيس الكيس. فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمر وقال يا رب ما ءالو إلا ما عجزتُ.

وهذا الرجل هو بلال بن الحرث المزني الصحابي، فهذا الصحابي قد قصد قبر الرسول للتبرك فلم ينكر عليه عمر ولا غيره.

وقد قال الحافظ ابن حجر في "الفتح"[2] ما نصّه: "وروى بن أبي شيبة[3] بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري وكان

---

(١) البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (-٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، **دلائل النبوة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ح٢، ص٤٧.

(٢) العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر (-٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **فتح الباري**، بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ج٢، ص٤٩٥.

(٣) الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي مولاهم الكوفي صاحب "**المسند**" و"**المصنف**" وغير ذلك، سمع من شريك القاضي وأبي الأحوص وابن المبارك وطبقتهم، وعنه أبو زرعة والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم،

خازن عمر قال أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتى الرجل في المنام فقيل له ائت عمر الحديث وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة" اهـ.

وقال ابن كثير[1] ما نصّه: "وقد روينا أن عمر عس المدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحدًا يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على

مات سنة خمس وثلاثين ومائتين. البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٢، ص٢٦٥. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (-٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، د.ط، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١٩، ص٣٣٢.

(١) إسماعيل بن عمر ابن كثير البصروي، -تلميذ ابن تيمية- ولد سنة سبعمائة، من كتبه "**البداية والنهاية**" و"**تفسير القرآن الكريم**" و"**رسالة في الجهاد**"، مات في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ/١٥٠٥م)، **طبقات الحفاظ**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص٥٣٤. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، ص٣٩٧.

-ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر (-٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، **البداية والنهاية**، تحقيق علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٧، ص١٠٣.

العادة، ولم ير سائلًا يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن السؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والناس في همٍّ وضيقٍ فهم لا يتحدثون ولا يضحكون. فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد. وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمة محمد.

فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمات، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة. وهذا الأثر جيد الإسناد" اهـ. وهذا فيه الردّ على ابن تيمية[1] لقوله: إنه لا يجوز

---

(١) هو تقي الدين أبو العباس أحمد ابن المفتي شهاب الدين عبد الحليم الحرَّاني، ولد سنة إحدى وستين وستمائة، تحوّل به أبوه من حرّان، فسمع من ابن عبد الدَّائم والقاسم الأربلي والمسلم بن عَلان، وكان العلماء قد عمِلُوا لابن تيمية مجالس مناظرة، فأُفحِم فيها وانقطع فأظهر تراجعَه، وكتَب بخَطّه "رجَعتُ إلى ما عليه الجماعةُ"، ثم صار يَنقُض ثم يُحبَس ثم يُفرَج عنه، وهكذا حتّى لما مَلُّوا منه، فحُبِسَ بإجماع العلماءِ وَوُلاَة الأمور في زمن السبكي، أفتى قضاة المذاهب الأربعة بحبس ابن تيمية، وحكموا عليه بأنه ضال، كما قال الحافظُ تقيُّ الدّين السُّبكيّ: "حُبِسَ بإجماع العلماءِ ووُلاة الأمُور"، وكانَ السُّلطان في الوقت الَّذي كان فيه ابن تيمية ابن قلاوون، ولم يُظهر ابن تيمية قولَ: بأنّ اللهَ جَالسٌ على الكرسيّ، إنّما كانَ يُظهِر مسألةَ الطّلاق، أي بعدم اعتبار الطّلاق الثّلاث إذا

وقع بلفظ واحد طلاقًا ثلاثًا، على أنّ هذه عند الحكّام أكثرُ ما كان يُناظَر فيه، ومسألة قوله: بالجهة لفظًا، قال وليُّ الدّين العراقيّ عن= =ابن تيمِية بأنّه خرق الإجماع في نحو ستّين مسألة. وقال السبكي في "**رسائل السبكية**": "وكُتِب في سابع وعشرين رجب سنة ست وعشرين وسبعمائة، صورة الفتوى من المنقول من خطّ القضاة الأربعة على ظاهر الفتوى: الحمد لله هذا المنقول، باطنها جواب عن السؤال عن قوله: إنّ زيارة الأنبياء والصالحين بدعة، وما ذكره من نحو ذلك، وأنه لا يرخّص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه، وهذا المفتي المذكور ينبغي أن يُزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء، ويُمنع من الفتاوى الغريبة، ويُحبس إذا لم يمتنع من ذلك، ويُشهر أمره، ليتحفّظ الناس من الاقتداء به وكتبه محمدُ بن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الشافعي، وكذلك يقول محمد بن الحريري الأنصاري الحنفي، لكن يُحبس الآن جزمًا مطلقًا، وكذلك يقول محمد بن أبي بكر المالكي، ويُبالغ في زجره، حسبما تندفع به هذه المفسدة وغيرها من المفاسد. وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي، ووجدوا صورة فتوى أخرى، يقطع فيها بأنّ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها، وهذه الفتوى هي التي وقف عليه الحكّام، وشهد بذلك القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، فلما رأوا خطَّه عليها تحقّقوا فتواه، فغاروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم غيرة عظيمة، وللمسلمين الذين ندبوا إلى زيارته وللزائرين من أقطار

الأرض، واتّفقوا على تبديعه وتضليله وزيغه وأهانوه ووضعوه في السجن". وقال القاضي نجم الدين صصري لابن تيمية: "حكمتُ بحبسك واعتقالك". والذهبي مع ثنائه البالغ في حق ابن تيمية في كثير من كتبه يقول عنه: "وقد أُوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده وأنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية"، كما في **"الدرر الكامنة"**، ويقول عنه أيضًا: "إنه أطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها" نقله ابن رجب عنه في طبقاته ويقول عنه أيضًا: "وقد تعبت في وزنه وتفتيشه حتى مللت في سنين متطاولة، فما وجدت الذي أخّره بين أهل مصر والشام ومَقتَته نفوسُهم وازدروا به وكذَّبوه وكفروه إلّا الكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار". توفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة. وقال الحافظ ابن حجر عن حال ابن تيمية: ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مَا تقدّم [وكان قد قال: إنّ إسلام علي رضي الله عنه ما صحّ لأنه أسلم وهو فتى] ولقوله: إنّه كان مخذولًا حيث ما توجّه وأنّه حاول الخلافة مرارًا فلم ينلْها وإنّما قاتل للرئاسة لا للديانة ولقوله: إنّه كان يحبّ الرّئاسة وأنّ عثمَان كان يحبّ المال ولقوله: أبو بكر أسلم شيخًا لا يدري مَا يقول، وعلي أسلم صَبيًّا والصبي لا يصحّ إسلامه على قول". السُّبكي تقي الدين عليّ بن عبد الكافي (-٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، **السَّيف الصَّقِيل في الرَّدِّ عَلَى ابن زفيل**، د.م، د.ط، د.ت، ج١، ص٢٢٠. السُّبكي تقي الدين عليّ بن عبد الكافي (-

التوسّل إلا بالحي الحاضر، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب استغاث بأبي موسى وعمرو بن العاص وهما غائبان.

ثم يقول في الصفحة التالية: "وقال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف السلمي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة، وأول سنة ثماني عشرة، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس، حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر فقال: أنا رسول رسول الله إليك، يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم "لقد عهدتك كيسا، وما زلت على ذلك، فما شأنك"؟ قال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة.

٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، **الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية**، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٦ و٢٨-٢٩. العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (-٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **الدرر الكامنة**، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ج١، ص١٧٦ و١٨١.

فخرج فنادى في الناس الصلاة جامعة، فصلّى بهم ركعتين ثم قام فقال: أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون مني أمرًا غيره خير منه؟ فقالوا: اللهم لا، فقال: إن بلال بن الحارث يزعم ذيت وذيت.

قالوا: صدق بلال فاستغث بالله ثم بالمسلمين.

فبعث إليهم – وكان عمر عن ذلك محصورًا – فقال عمر: الله أكبر، بلغ البلاء مدته فانكشف.

ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء.

وكتب إلى أمراء الأمصار أن أغيثوا أهل المدينة ومن حولها، فإنه قد بلغ جهدهم.

وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطلب ماشيا، فخطب وأوجز وصلى ثم جثى لركبتيه وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا.

ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران.

ثم روى سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب: أن رجلًا من مزينة عام الرمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال: ليس فيهن شئ.

فألحّوا عليه فذبح شاة فإذا عظامها حمر فقال يا محمداه.

فلما أمسى أرى في المنام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: "أبشر بالحياة، إيت عمر فأقرئه منّي السلام وقل له إن عهدي بك وفي العهد شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر"، فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأتى عمر فأخبره ففزع، ثم صعد عمر المنبر فقال للناس: أنشدكم الله الذي هداكم للإسلام هل رأيتم مني شيئًا تكرهونه؟ فقالوا: اللهم لا، وعم ذاك؟ فأخبرهم بقول المزني - وهو بلال بن الحارث - ففطنوا ولم يفطن.

فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا.

فنادى في الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال: اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم اسقنا وأحيي العباد والبلاد".

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: حدثنا أبو عمر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيي بن يحيي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى

قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا.

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: إيت عمر فأقرئه مني السلام وأخبرهم أنهم مسقون، وقل له عليك بالكيس الكيس.

فأتى الرجل فأخبر عمر فقال: يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه.

وهذا إسناد صحيح. انتهى كلام ابن كثير. وهذا إقرار منه بصحة هذا الحديث من الحافظ ابن كثير.

وقد قال الحافظ ولي الدين العراقي[1] في حديث أبي هريرة أن موسى قال: «**رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر**»، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر**» فيه استحباب معرفة قبور الصالحين لزيارتها والقيام بحقها اهـ.

وقد ذكر النبي ﷺ لقبر النبي موسى عليه السلام علامة هي موجودة في قبر مشهور عند الناس الآن بأنه قبره، والظاهر أنّ الموضع المذكور هو

---

(١) ولي الدين العراقي، **طرح التثريب**، ج٣، ص٢٩٨.

الذي أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام وقد دلّ على ذلك حكايات ومنامات.

وقال الحافظ الضياء[١]: حدثني سالم التلّ قال: "ما رأيت استجابة الدعاء أسرع منها عند هذا القبر، وحدثني الشيخ عبد الله ابن يونس المعروف بالأرمني أنه زار هذا القبر وأنه نام فرأى في منامه قبة عنده وفيها شخص أسمر فسلّم عليه وقال له أنت موسى كليم الله أو قال نبي الله، فقال: نعم، فقلت قل لي شيئًا، فأومأ إلي بأربع أصابع ووصف طولهن، فانتبهت ولم أدر ما قال، فأخبرت الشيخ ذيالًا بذلك، فقال: يولد لك أربعة أولاد، فقلت: أنا قد تزوجت امرأة لم أقربها، فقال: تكون غير هذه، فتزوّجت أخرى فولدت لي أربعة أولاد"[٢] انتهى.

---

(١) ضياء الدّين المقدسي محمَّد بن عبد الواحد، ولد سنة تسع وستين وخمس مائة، ومن كتبه "**كتاب الأَحْكَام**" و"**فَضَائِل الأَعْمَال**" و"**فَضَائِل الشَّام**"، وتوفّي سنة ثلاث وأربعين وستمائة. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٤، ص٤٨. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٧، ص٣٨٧.

(٢) موسى عليه السلام لم يستطع أن يطهر بيت المقدس من الكفار لما كانوا مستولين عليها بل مات قبل أن يدخلها وقد طلب من الله أن يدنيه من الأرض المقدسة قال: يا رب أدنني من الأرض المقدسة ولو مقدار رمية بحجر،

فيفهم من قول رسول الله عن قبر موسى عليه السلام «**والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر**» والذي هو قرب أريحا الإشارة إلى أن زيارة قبور الأنبياء والصالحين للتبرك بهم مطلوبة وعلى هذا كان الأكابر وعلى ذلك نصّوا، وقد ذكر الإمام أبو الوفاء الحنبلي(١) الذي هو من أعمدة المذهب الحنبلي أنه مما يستحبّ قوله عند

فلمّا جاء أجله قرّبه الله إلى الأرض المقدسة رميةً بحجر، جعل وفاته بمكان قريب من الأرض المقدسة، والأرض المقدسة تبدأ من الجبال التي بعد أريحا إلى بيت المقدس، وقبر موسى قبل جبل القدس يوجد هناك بأريحا مقام كبير له أربعة أبواب باب شرقي وباب غربي وباب شمالي وباب جنوبي بناه المسلمون يأوي إليه الزوار.

(١) هو أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي، كان مولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، من كتبه "**الجدل على طريقة الفقهاء**" و"**كفاية المفتي**"، ومات فِي يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. ابن أبي يعلى محمد بن محمد (٥٢٦هـ/١١٣١م)، **طبقات الحنابلة**، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت، ج٢، ص٢٥٩. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٦، ص٥٨.

زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1]، وإني قد أتيت بنبيك تائبًا مستغفرًا فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم إني أتوجّه إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا رسول الله إني أتوجّه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي»، فبعد هذا كيف يقول بعضهم: إنّ زيارة قبر النبي للتبرّك به والتوسل به زيارة شركية، فما أبعد هؤلاء عن الحق[2]. ثم إنّ أحد حفاظ الحديث

-أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي (-٥١٣هـ/١١٢٠م)، **التذكرة في الفقه**، تحقيق د. ناصر بن سعود، الرياض، دار إشبيليا، ط١، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م، ص١١٧.

(١) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٢) ابن تيمية هو أول من منع التوسل بالنبي ﷺ كما ذكر ذلك تقي الدين السبكي رحمه الله في كتابه شفاء السقام ونصّ عبارته: "اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحُسْنُه من الأمور المعلومة لكل ذي دين المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسِيَر السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، ولم يُنْكرْ أحدٌ من ذلك من أهل الأديان، ولا سُمِعَ به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية فتكلّم في

واسمه الحافظ سراج الدين بن الملقن[1] هذا توفي بعد ابن تيمية بنحو ستين سنة وهو من الفقهاء الشافعيين ذكر عن نفسه فقال: "ذهبت إلى قبر معروف الكرخي وقفت ودعوت الله عدّة مرّات، فالأمر الذي كان يصعب علي ينقضي عند ما أدعو الله هناك عند قبره"، هذا معروف الكرخي من الأولياء البارزين المشهورين في بغداد، معروف عند العامة والخاصة يقصدون قبره للتبرك.

ذلك بكلام يُلَبّسُ فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يُسْبَقْ إليه في سائر الأعصار". السبكي أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (-٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، **شفاء السقام في زيارة خير الأنام**، تحقيق حسين محمد علي شكري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص٣٥٧.

(١) سراج الدين أبو حفص عمر ابن الإمام النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الشافعي، ولد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، من كتبه "**التوضيح لشرح الجامع الصحيح**" و"**خلاصة البدر المنير**" و"**العقد المذهب**"، توفي سنة أربع وثمانمائة. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج١١، ص٢٧٢. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٥٤.

وذكر الحافظ الخطيب البغدادي[1] في "تاريخ بغداد"[2] عن الحسن بن إبراهيم الخلال أنه قال: "ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهّل الله تعالى لي ما أحب" اهـ.

وذكر عن بعض أكابر السلف ممن كان في زمن الإمام أحمد بن حنبل[3] واسمه إبراهيم الحربي أبو إسحق[4] وكان حافظًا فقيهًا مجتهدًا يشبه

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب البغدادي، وُلد في غُزَيَّة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، من كتبه "**تاريخ بغداد**" و"**الكفاية في علم الرواية**" و"**الفقيه والمتفقه**"، توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص٩٢. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص٣٨-٣٩.

(٢) الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (-٤٦٣هـ/١٠٧٢م)، **تاريخ بغداد**، تحقيق د. بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص٤٤٢.

(٣) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سنة أربع وستين ومائة، من كتبه "**العلل والرجال**" و"**فضائل الصحابة**" و"**المناسك**"، توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص٦٣. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٣، ص١٨٥.

(٤) إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي، من أعلام المحدثين، ولد في سنة ثمان وتسعين ومائة، من كتبه "**غريب الحديث**" و"**إكرام الضيف**"

بأحمد بن حنبل، وكان الإمام أحمد يرسل ابنه ليتعلّم عنده الحديث أنّه قال: "قبر معروف[١] الترياق المجرب"[٢]، والترياق هو دواء مركب من أجزاء

و"**دلائل النبوة**"، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٦، ص٥٢٢. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٢٦٣.

(١) معروف بن فيروز الكرخي، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، قال محمد بن الحسين، سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك فقال: غفر لي، فقلت: بزهدك وورعك فقال: لا بل بقبول موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء. وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف قال: كنت مارًّا بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه الله جملة، ومن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه، وأقبل بوجوه الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتًا ما، فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي ابن موسى الرضا، وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال: يكفيك هذا موعظة إن اتعظت. وتوفي سنة مائتين، وقيل غير ذلك. أبو عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى النيسابوري (-١٠٢١م/٤١٢هـ)، **طبقات الصوفية**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٨٠. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٥، ص٢٣١.

(٢) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١، ص٤٤٥.

وهو معروف عند الأطبّاء القدامى من كثرة منافعه وهو عندهم أنواع شبه الحربي قبر معروف بالترياق في كثرة الانتفاع فكأن الحربي قال: أيها الناس اقصدوا قبر معروف تبرّكًا به من كثرة منافعه.

وذكر أيضًا عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري[١] أنه قال: سمعت أبي يقول: "قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج، ويقال: إنه من قرأ عنده مائة مرة ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾[٢] وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته"[٣].

---

(١) أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري، ولد في جمادى الآخرة سنة تسعين ومائتين، وتوفي يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٢، ص٩٦. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٤، ص٤٢٨.

(٢) سورة الإخلاص، آية: ١.

(٣) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١، ص٤٤٥.

وذكر عن أبي عبد الله المحاملي[1] أنه قال: "أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة، ما قصده مهموم إلا فرّج الله همّه"[2].

---

(١) أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد المحاملي، ولد في سنة خمس وثلاثين ومائتين، وكان فاضلًا، صادقًا، دينًا، وولي قضاء الكوفة ستين سنة، من كتبه "**الأجزاء المحامليات**" و"**أمالي المحاملي**"، توفي سنة ثلاثين وثلاث مائة. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٨، ص٥٣٦. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٣٤٥. الكتاني أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض (-١٣٤٥هـ/١٩٢٧م)، **الرسالة المستطرفة**، تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط٦، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٦١.

(٢) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١، ص٤٤٥.

وروي عن الشافعي[1] أنه كان يقول: "إني لأتبرك بأبي حنيفة[2] وأجيء إلى قبره في كل يوم – يعني زائرًا – فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى".

ومقبرة باب البردان فيها أيضًا جماعة من أهل الفضل، وعند المصلّى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النذور، ويقال: إنّ المدفون فيه

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس الهاشمي القرشي، ولد سنة خمسين ومائة بمدينة غزة، من كتبه "**الأم**" و"**المسند**" و"**الرسالة**"، وتوفي سنة أربع ومائتين، ودفن بالقرافة الصغرى، وقبره يزار بها. النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (-٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، **تهذيب الأسماء واللغات**، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ج١، ص٤٤. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٤، ص١٦٣. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٣، ص١٩.

– الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١، ص٤٤٥.

(٢) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوطَى، ولد سنة ثمانين من الهجرة، من كتبه "**الفقه الأكبر**" و"**العالم والمتعلم**" و"**الوصية**"، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج٢، ص٢١٦. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٥، ص٤١٤. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٢٢٩.

رجلٌ من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتبرّك الناس بزيارته، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته(١).

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي(٢) قال: حدثني أبي قال: كنت جالسًا بحضرة عضد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مصلى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى همذان في أول يوم نزل المعسكر، فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل قبر لعلمي بطيرته من دون هذا، واستحسن اللفظة وقال: قد علمت أنه قبر النذور، وإنما أردت شرح أمره، فقلت: هذا يقال إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويقال: إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وإن بعض الخلفاء أراد قتله خفيًّا،

---

(١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١، ص٤٤٦.

(٢) أبو القاسم علي بن المحسن بن علي بن محمد التنوخي، ولد بالبصرة في النصف من شعبان سنة خمس وستين وثلاث مائة، صدوق متحفّظ في الشهادة، ولي قضاء المدائن ونحوها، وتوفي سنة سبع وأربعين وأربعمائة. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٣، ص٦٠٤. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٣٦٦. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٥، ص٢٠٣.

فجعلت له هناك زُبْيةً وسُيِّر عليها وهو لا يعلم، فوقع فيها وأهيل عليه التراب حيًّا، وإنما شهر بقبر النذور لأنه ما يكاد ينذر له نذر إلا صحّ وبلغ الناذر ما يريد ولزمه الوفاء بالنذر، وأنا أحد من نذر له مرارًا لا أحصيها كثرة نذورًا على أمور متعذرة، فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به، فلم يتقبّل هذا القول وتكلم بما دلّ أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقًا، فيتسوق العوام بإضعافه، ويسيرون الاحاديث الباطلة فيه، فأمسكت، فلما كان بعد أيام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم، وقال: اركب معي إلى مشهد النذور، فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع، فدخله وزار القبر وصلى عنده ركعتين سجد بعدها سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد، ثم ركبنا معه إلى خيمته وأقمنا أيامًا، ثم رحل ورحلنا معه يريد همذان، فبلغناها وأقمنا فيها شهورًا، فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي: ألست تذكر ما حدثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد فقلت: بلى، فقال: إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتمادًا لإحسان عشرتك، والذي كان في نفسي في الحقيقة أن جميع ما يقال فيه كذب، فلما كان بعد ذلك بمديدة طرقني أمر خشيت أن يقع ويتم، وأعملت فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت

أموالي وسائر عساكري، فلم أجد لذلك فيه مذهبًا، فذكرت ما أخبرتني به في النذر لقبر النذور، فقلت: لمّ لا أجرّب ذلك، فنذرت إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل إلى صندوق هذا المشهد عشرة ءالاف درهم صحاحًا، فلما كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر، فتقدمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف -يعني كاتبه- أن يكتب إلى أبي الريان وكان خليفته ببغداد يحملها إلى المشهد، ثم التفت إلى عبد العزيز وكان حاضرًا، فقال له عبد العزيز: قد كتبت بذلك ونفذ الكتاب"[1] اهـ.

---

(١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١، ص٤٤٦.

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر[1]: "حدثني الشيخ الصالح الأصيل أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر بن الصفار الإسفرايني قال: قبر أبي عوانة[2] بإسفرايين مزار العالم ومتبرك الخلق" اهـ.

---

(١) الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي، وكانت ولادته في أول المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة، ومن كتبه "**تَبْيِين كذب المفترى**" و"**تاريخ دمشق**"، وتوفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٣٠٩. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٤٧٥. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص٤٣.

-ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٦، ص٣٩٤.

(٢) أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الأسفراييني، من أكابر حفاظ الحديث، من كتبه "**الصحيح المسند**" و"**شرح كتاب سيبويه**" و"**كتاب الرياح والهواء والنار**"، توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٦، ص٣٩٤. اليافعي أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي (-٧٦٨هـ/١٣٦٧م)، **مرءاة الجنان**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٢٠٢.

وقد ذكر الحافظ الجزري[1] وهو شيخ القراء وكان من حفاظ الحديث في كتاب له يسمى "الحصن الحصين"[2] وكذلك ذكر في مختصره قال: "من مواضع إجابة الدعاء قبورُ الصالحين" اهـ. وهذا الحافظ جاء بعد ابن تيمية بنحو مائة سنة، ولم ينكر عليه العلماء إلا أن يكون بعض الشاذين الذين لحقوا نفاة التوسل من أتباع ابن تيمية.

---

(١) أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي الشافعي، ولد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، من كتبه "**النشر فِي القراآت العشر**" و"**الحصن الحْصين**" و"**التوضيح فِي شرح المصابيح**"، مات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٥٤٩. أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحنبلي (-٩٢٨هـ/١٥٢٢م)، **الأنس الجليل**، تحقيق عدنان يونس، عمان، مكتبة دنديس، د.ط، د.ت، ج٢، ص١٠٩.

(٢) ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد (-٨٣٣هـ/١٤٣٠م)، **الحصن الحصين**، تحقيق د. عبد الرؤوف، كويت، دار الغراس، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٧٦.

ونختم هذا المقال بقول الإمام مالك[١] للخليفة المنصور[٢] لما حجّ فزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وسأل مالكًا قائلًا: "يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك ءادم عليه السلام إلى الله تعالى

---

(١) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، ولد سنة ثلاث أو أربع وتسعين للهجرة، من كتبه "**الموطأ**" و"**الرد على القدرية**" و"**تفسير غريب القرآن**"، توفي سنة تسع وسبعين ومائة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٤، ص١٣٧. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٣٥٠.

(٢) عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا جعفر، مولد أبي جعفر المنصور بالحميمة في صفر سنة خمس وتسعين، بويع المنصور يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من ذي الحجة وهو ابن إحدى وأربعين سنة وعشرة أشهر، وكان عمره ثلاثًا وستين سنة، وخلافته إحدى وعشرون سنة، ومات سنة ثمان وخمسين ومائة. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١١، ص٢٤٤. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج٢، ص٢٠٤.

بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله". ذكره القاضي عياض[1] في كتاب "الشفا"[2].

فهذا قليل من كثير مما تحويه كتب المحدثين والمؤرخين من قصد المسلمين قبور الأنبياء والصالحين للتبرك من غير إنكار من أحد منهم، فلو تتبع ما في كتب التاريخ والحديث وطبقات المحدثين والزهاد من هذا الباب لجاء مجلدات عديدة، فكيف تجرأ ابن تيمية على تحريم ذلك وتكفير من يفعل ذلك والحكم عليه بالشرك، ثم كيف تجرأ على دعوى أنه متفق عليه بين العلماء، ولو قال هذا ما أراه وأعتقده لكان ذلك إبداء رأيه الخاص لكنه أوهم أن هذا الذي يراه متفق عليه عند علماء الإسلام تلبيسًا على الناس

---

(١) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، كانت ولادته فى نصف شعبان من سنة ست وسبعين وأربعمائة، من كتبه "**مشارق الأنوار**" و"**الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**" و"**أزهار الرياض**"، توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٤٨٣. القفطي، **إنباه الرواة**، ج٢، ص٢٦٣. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٦، ص٢٢٦.

(٢) أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (-٥٤٤هـ/١١٤٩م)، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، عمان، دار الفيحاء، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص٩٢.

وهو يعلم أن الأمر ليس كذلك، فما أعظم ما ترتب من كلام ابن تيمية هذا من تكفير أتباعه الوهابية للمسلمين لمجرد قصد قبور الأنبياء والصالحين وهم يعتقدون أن الأنبياء والأولياء أسباب فقط لا يخلقون منفعة ولا مضرة، فكل إثم تكفير هؤلاء المسلمين يكون في صحائف ابن تيمية لأنه أول من سن هذا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص من أوزارهم شئ**»، وهو حديث مشهور رواه مسلم[1] وغيره.

---

(١) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين، ولد بعد المائتين للهجرة، من كتبه "**صحيح مسلم**" و"**المسند الكبير**" و"**كتاب أولاد الصحابة**"، وتوفي سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٥، ص١٩٤-١٩٥. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٣، ص٢٧٢.

-قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**». مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (-٢٦١هـ/٨٧١م)، **صحيح مسلم**، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في "المسند"[1] بإسناد حسن كما قال الحافظ ابن حجر[2] أن الحرث بن حسان البكري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد". ولفظ الحديث كما في "مسند أحمد": حدثنا زيد بن الحباب، قال: حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي، قال: حدثنا عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن الحارث بن يزيد البكري، قال: خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمررت بالربذة، فإذا عجوز من بني تميم مُنْقَطَعٌ بها، فقالت لي: يا عبد الله، إنّ لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة، فهل أنت مبلغي إليه؟ قال: فحملتها، فأتيت المدينة فإذا المسجد غاص بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها، قال: فجلست، قال: فدخل منزله – أو قال: رحله – فاستأذنت عليه، فأذن لي، فدخلت، فسلمت فقال:

بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، حديث (١٠١٧)، ج٢، ص٧٠٤.

(١) أحمد، **مسند أحمد**، ج٢٥، ص٣٠٧.

(٢) العسقلاني، **فتح الباري**، ج٨، ص٥٧٩.

"هل كان بينكم وبين بني تميم شيء؟" قال: فقلت: نعم، قال: وكانت لنا الدبرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها، فسألتني أن أحملها إليك، وها هي بالباب فأذن لها فدخلت، فقلت: يا رسول الله، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزًا، فاجعل الدهناء، فحميت العجوز، واستوفزت، قالت: يا رسول الله، فإلى أين تضطر مضرك؟ قال: قلت: إنما مثلي، ما قال الأول: معزاء حملت حتفها، حملت هذه، ولا أشعر أنها كانت لي خصمًا أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال: "هيه، وما وافد عاد؟" وهو أعلم بالحديث منه، ولكن يستطعمه، قلت: إن عادًا قحطوا فبعثوا وافدًا لهم، يقال له: قيل، فمرّ بمعاوية بن بكر، فأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر، وتغنيه جاريتان يقال لهما: الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة، فنادى: اللهم إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عادًا ما كنت مسقيه، فمرت به سحابات سود فنودي منها: اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء، فنودي منها: خذها رمادا رمددا ولا تبق من عاد أحدا، قال: فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح، إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا، حتى هلكوا، قال أبو

وائل: وصدق قال: " فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم، قالوا: لا تكن كوافد عاد"[١].

---

(١) ووجه الدليل في هذا الحديث أن الرسول لم يقل للحرث أشركت لقولك: «ورسوله» حيث استعذت بي، وقد جمع الحرث الاستعاذة بالرسول مع الاستعاذة بالله وذلك لأن الله هو المستعاذ به على الحقيقة، وأما الرسول فمستعاذ به على معنى أنه سبب، فتبيّن للحرث أن حاجتها مثل حاجته هو جاء ليطلب من الرسول أرضا من الأراضي وهي نفس الشئ كان في قلبها أن تطلب من الرسول فلما أوصلها إلى الرسول فإذا بها تذكر للرسول ما عندها ما كان في ضميرها أي في قلبها فقال الصحابي «أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد» يعني أعوذ بالله أن أكون خائبًا في أملي الذي أملته، معناه هذه المرأة تريد أن تسبقني إلى ما هو حاجتي. فإن قال قائل: هذا استعاذة بالرسول في حياته في حضرته ونحن لا ننكر هذا إنما ننكر الاستعاذة به بعد موته؟ قلنا: الاستعاذة معنى واحد إن كان طلبها من حي حاضر أو غائب فكيف يكون طلبها من الحاضر جائزًا ومن الغائب شركًا هذا غير معقول فإن المؤمن إن استعاذ بحي أو ميت فإنه يرى المستعاذ به سببًا أي أنه ينفع المستعيذ به إن شاء الله أي إن كتب الله أنه ينفعه، وهذا المعنى لا فرق فيه بين أن يكون المستعاذ به حيًا حاضرًا أو ميّتًا غائبًا، فلا الحي الحاضر المستعاذ به خالق

فماذا يقول هؤلاء الجاعلون التوسل بالنبي شركًا في إيراد أحمد بن حنبل لهذا الحديث أيجعلونه مقررًا للشرك أم ماذا يقولون؟.

قال ابن الحاج المالكي(١) المعروف بإنكاره للبدع في كتابه "المدخل"(٢) ما نصّه: "فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محلّ حط أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا؛ لأنّ بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، إذ إنها أعظم من الجميع، فليستبشر من زاره ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزره.

للإعاذة ولا الميت قال الله تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾، وأين معنى عبادة غير الله في هذا أليس معنى العبادة لغةً وشرعًا نهاية التذلل؟ يا مكفرين لأمة الهدى بلا سبب افهموا معنى العبادة ثم تكلّموا.

(١) أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج المالكي، من كتبه "**مدخل الشرع الشريف**" و"**شموس الأنوار**" و"**بلوغ القصد**"، مات سنة سبع وثلاثين وسبعمائة. العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج٥، ص٥٠٧. حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (-١٠٦٧هـ/١٦٥٧م)، **كشف الظنون**، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٤١م، ج٢، ص١٢، ص١٤٠١.

(٢) ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد المالكي (-٧٣٧هـ/١٣٣٦م)، **المدخل**، بيروت، دار التراث، د.ط، د.ت، ج١، ص٢٥٩.

ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1]. فمن جاءه ووقف ببابه وتوسّل به وجد الله توّابًا رحيمًا، لأنّ الله منزّه عن خُلف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه، فهذا لا يشكّ فيه ولا يرتاب إلا جاحد للدين معاند لله ولرسوله ﷺ نعوذ بالله من الحرمان" انتهى كلام ابن الحاج المالكي.

(١) سورة النساء، آية: ٦٤.

وأخرج الطبراني[1] في معجميه "الكبير"[2] و"الصغير"[3] عن عثمان بن حنيف: أنّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجةٍ له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابنَ حنيفٍ، فشكى ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: "ائت الميضأة فتوضّأ، ثم ائْتِ المسجدَ فصلّ فيه ركعتين، ثم قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي وَتَذْكُر حاجتَك"، ورُحْ حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء البوّابُ

---

(١) سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، مولده بمدينة عكَّا سنة ستين ومائتين، من كتبه "**المعجم الكبير**" و"**المعجم الأوسط**" و"**المعجم الصغير**"، وتوفي سنة ستين وثلاثمائة وقبره مشهور معروف يزار. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٤٠٧. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٤، ص٣١٠.

(٢) الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (-٣٦٠هـ/٩٧١م)، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٩، ص٣٠.

(٣) الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (-٣٦٠هـ/٩٧١م)، **المعجم الصغير**، تحقيق محمد شكور ومحمود الحاج أمرير، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م،

حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأجلسه معه على الطنفسة، -أي السجادة- فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرتُ حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فأذكرها، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلّمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلّمته، ولكني شهدتُّ رسولَ اللهِ ﷺ وأتاه ضريرٌ فشكى إليه ذهابَ بصره، فقال له النبي ﷺ: «**أَفَتَصْبِرُ؟**» فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائدٌ وقد شقّ عليّ، فقال النبي ﷺ: «**ائْتِ الْمِيضَأَةَ، فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ**»، قال ابن حنيف: فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضررٌ قطّ. وقال الطبراني: "والحديث صحيح".

ففيه دليل على أنّ الأعمى توسّل بالنبي ﷺ في غير حضرته، بل ذهب إلى الميضأة فتوضّأ وصلّى ودعا باللفظ الذي علّمه رسولُ الله، ثم دخل على النبي والنبي لم يفارق مجلسه لقول راوي الحديث عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضررٌ قطّ.

فإن قيل: إنّ الطبراني لم يصحّح بقوله "والحديث صحيح" إلّا الأصل وهو ما حصل بين النبي والأعمى ويسمّى مرفوعًا، وأمّا ما حصل بين عثمان بن حنيف وذلك الرجل فلا يسمّى حديثًا لأنه حصل بعد النبي ﷺ وإنما يسمّى موقوفًا.

فالجواب: أنّ علماء الحديث يطلقون الحديث على المرفوع والموقوف، وقد نصّ على ذلك غير واحد منهم كابن حجر العسقلاني[1] وابن

---

(١) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ/١٥٠٥م)، **تدريب الراوي**، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض، دار طيبة، د.ت، ج١، ص٢٩.

الصلاح[1]، ففي كتاب الرملي[2] ما نصه: "سئل عن تعريف الأثر فأجاب: إن تعريف الأثر عند المحققين هو الحديث سواء أكان مرفوعًا أو

---

(١) أبو عمرو تقيّ الدين عثمان بن عبد الرحمن الكردي، المعروف بابن الصلاح، ومولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة، من كتبه "**معرفة أنواع علم الحديث**" يعرف بمقدمة ابن الصلاح، و"**الامالي**" و"**فوائد الرحلة**"، توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة بدمشق. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٢٤٣. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص١١٥. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٧، ص٣٨٤.

-ابن الصلاح تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (-١٢٤٥م/٦٤٣هـ)، **مقدمة ابن الصلاح**، تحقيق نور الدين عتر، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٤٥.

(٢) شهاب الدّين أحمد الرّملي المصري الأنصاري الشافعي، وهو أحد الأجلاء من تلاميذ شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري، من كتبه "**صفوة الزبد**" و"**شرح سنن أبي داود**" و"**طبقات الشافعية**"، توفي سنة سبع وخمسين وتسعمائة. نجم الدين محمد بن محمد الغزي (-١٠٦١هـ/١٦٥١م)، **الكواكب السائرة**، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص١٢٠. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١٠، ص٤٥٤.

-شهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشافعي (-١٥٥٠م/٩٥٧هـ)، **فتاوى الرملي**، المكتبة الإسلامية، د.ط، د.ت، ج٤، ص٣٧١.

موقوفًا وإن قصره بعض الفقهاء على الموقوف" اهـ. فدعوى الألباني وبعض تلامذته وحملهم قول الطبراني: "والحديث صحيح" على ما حصل للأعمى مع رسول الله دون ما حصل للرجل مع عثمان بن حنيف دعوى باطلة مخالفة لقواعد الاصطلاح.

قال المناوي[1] في حديث: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ" ما نصّه: قال ابن عبد السلام: ينبغي كون هذا مقصورًا على النبي ﷺ وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته وأن يكون مما خصّ به، قال السبكي: يحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي إلى ربه، ولم ينكر ذلك أحد من السلف ولا من

---

(١) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري، من كتبه "**كنوز الحقائق**" في الحديث، و"**التيسير**" في شرح الجامع الصغير، و"**فيض القدير**"، توفّي سنة إحدى وثلاثين وألف. المحبي محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين (-١١١١هـ/١٦٩٩م)، **خلاصة الأثر**، بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت، ج٢، ص١٩٣. الشوكاني، **البدر الطالع**، ج١، ص٣٥٧.

-المناوي محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين (-١٠٣١هـ/١٦٩٣م)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، ج٢، ص١٣٤.

الخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم قبله وصار بين أهل الإسلام مُثْلَةً اهـ.

ومما يدلّ على جواز التوسّل أيضًا ما رواه البخاري[١] ومسلم[٢] عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ**

---

(١) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ولد سنة أربع وتسعين ومائة، من كتبه "**خلق أفعال العباد**" و"**الأدب المفرد**" و"**الضعفاء**"، توفي سنة ست وخمسين ومائتين. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج١، ص٦٧. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص٢٤.

-البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي (-٢٥٦هـ/٨٦٦م)، **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرًا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، حديث (٢٢٧٢)، ج٣، ص٩١.

(٢) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (-٢٦١هـ/٨٧١م)، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، حديث (٢٧٤٣)، ج٤، ص٢٠٩٩.

الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلاَ مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ». الحديث. فإذا كان التوسل بالعمل الصالح جائزًا فكيف لا يصحّ بالذوات الفاضلة كذوات الأنبياء، فهذا يكفي دليلًا لو لم يكن دليل سواه للتوسل بالأنبياء والأولياء.

وفي كتاب "إتحاف السادة المتقين"[١] ما نصّه: "وكان صفوان بن سُليم المدني أبو عبد الله، وقيل أبو الحرث القرشي الزهري الفقيه العابد وأبوه سُليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال أحمد: هو يُسْتَسْقَى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره، وقال مرة هو ثقة من خيار عباد الله الصالحين قال الواقدي: وغيره مات سنة مائة واثنتين وثلاثين عن اثنتين

---

(١) مرتضى الزبيدي، **اتحاف السادة المتقين**، ج١٠، ص٢٦٣.

وسبعين سنة" اهـ. أي أنه توفي قبل أن يولد الإمام أحمد. فهذا لم يقل يستسقى بدعائه كما يقول ابن تيمية إنّ التوسل بدعاء الشخص لا بذاته ولا بذكره، بل جعل أحمد ذكره سببًا لنزول المطر، فمن أين تحريم ابن تيمية للتوسّل بالذوات الفاصلة.

وفي فتاوى شمس الدين الرملي[١] ما نصّه: "سئل عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، يا رسول الله، ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرسل والأنبياء والأولياء والصالحين والمشايخ إغاثةً بعد موتهم وماذا يرجح ذلك؟

فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم؛ لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم. أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون[٢] كما وردت به الأخبار وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم. والشهداء أيضا أحياء شوهدوا نهارًا جهارًا يقاتلون الكفار.

---

(١) الرملي، **فتاوى الرملي**، ج٤، ص٣٨٢.

(٢) أما قوله "يحجون" فإنه لم يثبت في السنة.

وأما الأولياء فهي كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم" اهـ.

قال ملا علي القارئ[١] في "مرقاة المفاتيح"[٢] ما نصّه: "قال شيخ مشايخنا علامة العلماء المتبحرين شمس الدين محمد الجزري في مقدمة شرحه للمصابيح المسمى بتصحيح المصابيح: إني زرت قبره بنيسابور -يعني مسلم ابن الحجاج القشيري-، وقرأت بعض صحيحه على سبيل التيمن، والتبرك عند قبره، ورأيت آثار البركة، ورجاء الإجابة في تربته" اهـ.

---

(١) نور الدين الملّا علي بن سلطان محمد الهروي القاري، فقيه حنفي من صدور العلم في عصره، ولد في هراة، هاجر إلى مكة المكرمة، وتلمّذ على ابن حجر المكي، وصنّف كتبًا كثيرة، منها "**تفسير القرآن**" و"**شرح مشكاة المصابيح** " و"**شرح الشمائل**"، توفي سنة أربع عشرة وألف. الدمشقي، **خلاصة الأثر**، ج٢، ص٤٥٨. اللكنوي أبو الحسنات محمد عبد الحي الهندي، (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م)، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، تحقيق، محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، مصر، دار السعادة، ط١، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص٨.

(٢) الملا علي القاري أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد (-١٠١٤هـ/١٦٠٦م)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م، ج١، ص١٩.

وأما توسل عمر بالعباس بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فليس لأن الرسول قد مات، بل كان لأجل رعاية حقّ قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم، بدليل قول العباس حين قدّمه عمر: «**اللّهم إنّ القوم توجّهوا بي إليك لمكاني من نبيّك**». فتبين بطلان رأي ابن تيمية ومن تبعه من منكري التوسل. روى هذا الأثر الزبير بن بكار كما قال الحافظ ابن حجر(١).

---

(١) العسقلاني، **فتح الباري**، ج٢، ص٤٩٧.

ويُستَأنَس له أيضًا بما رواه الحاكم[1] في "المستدرك"[2] أن عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال: «**أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده، يُعظِّمه ويفخّمه ويبرّ قسمه، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله فيما نزل بكم**»، فهذا يوضح سبب توسّل عمر بالعباس.

---

(١) الحافظ أبو عبد اللّٰه الحاكم النيسابوري محمد بن عبد اللّٰه بن محمد، المعروف بابن البيّع، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، من كتبه "**المستدرك**" و"**الإكليل**" و"**معرفة الحديث**"، توفي سنة خمس وأربعمائة. ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (-٨٠٤ هـ/١٤٠١م)، **العقد المذهب**، تحقيق أيمن نصر الأزهري وسيد مهني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٧٠. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج١، ص١٩٣. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٤١٠.

(٢) الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (-٤٠٥هـ/١٠١٤م)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج٣، ص٣٧٧.

وقد أراد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بفعله ذلك أن يُبيِّن جواز التوسل بغير النبي من أهل الصلاح ممن ترجى بركته، ولذا قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"[1] عقب هذه القصة ما نصّه: "ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة" اهـ.

أما حديث ابن عباس الذي رواه الترمذي[2] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**» فليس فيه دليل أيضًا على منع التوسل بالأنبياء والأولياء لأن الحديث معناه أن الأولى بأن يسأل ويستعان به الله تعالى، وليس معناه لا تسأل غير الله ولا تستعن بغير الله.

---

(١) العسقلاني، **فتح الباري**، ج٢، ص٤٩٧.

(٢) الترمذي هو محمد بن عيسى بن سَوْرة، الحافظ المشهور أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث، ولد سنة تسع وسبعين ومائتين، ومن كتبه "**كتاب الجامع**" و"**العلل**"، توفي سنة خمس وسبعين ومائتين. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٤، ص٢٧٨. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص٣٢٧.

-الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة (-٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **سنن الترمذي**، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، حديث (٢٥١٦)، ج٤، ص٢٤٨.

نظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ**»[1] فكما لا يفهم من هذا الحديث عدم جواز صحبة غير المؤمن وإطعام غير التقي وإنما يفهم منه أن الأولى في الصحبة المؤمن وأن الأولى بالإطعام هو التقي، كذلك حديث ابن عباس لا يفهم منه إلا الأولوية وأما التحريم الذي يدعونه فليس في هذا الحديث.

فهذا الحديث مع وجود أداة النهي فيه ليس دليلًا على تحريم أن يطعم الرجل غير تقي وقد مدح اللهُ في القرءان المسلمين بقوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾[2]. وَالأَسِيْرُ هُنَا الْمُرَادُ بِهِ الْكَافِرُ[3]. وإنما المعنى أن الأولى أن تطعم طعامك التقي. فكيف تجرأت الوهابية على الاستدلال بهذا الحديث لمنع التوسل بالأنبياء والأولياء ما أجرأهم على التحريم والتكفير بغير سبب، ومن عرف حقيقتهم لا يجعل لكلامهم وزنًا

---

(١) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، ج٢، ص٣١٤.

(٢) سورة الإنسان، آية: ٨.

(٣) البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (-٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٥، ص٢٧٠.

كيف يجعل لهذه الفرقة وزن وهم يكفرون المؤمن كما هو معروف من تصرفهم مع الزائرين.

فائدة: لا فرق بين التوسل والاستغاثة، فالتوسل يسمّى استغاثة كما جاء في حديث البخاري[1] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم موسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم**» الحديث في رواية عبد الله بن عمر لحديث الشفاعة يوم القيامة، وفي رواية أنس روي بلفظ الاستشفاع وكلتا الروايتين في الصحيح فدلّ ذلك على أن الاستشفاع والاستغاثة بمعنى واحد فسمى الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الطلب من ءادم أن يشفع لهم إلى ربهم استغاثة.

وفي بعض الروايات لهذا الحديث: «**يا ءادم أنت أبو البشر اشفع لنا إلى ربنا**»[2]، وفي هذا ردٌّ على من جعل التوسّل بغير الله شركًا، وقد قال

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا، حديث (١٤٧٥)، ج٢، ص١٢٣.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**لما خلقت بيدي**﴾، حديث (٧٤١٠)، ج٩، ص١٢١.

الحافظ تقي الدين السبكي في "شفاء السقام"[1]: «الاستشفاع والتوسل والتوجه والتجوه والاستغاثة والاستعانة بمعنى واحد». والتقي السبكي محدث حافظ فقيه لغوي كما وصفه العلماء بذلك.

ثم الرسول سمى المطر مغيثا فقد روى أبو داود[2] وغيره بالإسناد الصحيح أن الرسول ﷺ قال: «**اللهم اسقنا غيثًا مُغيثًا مَريعًا نافعًا غير ضارّ عاجلًا غير ءاجلٍ**»، فالرسول سمّى المطر مغيثًا لأنه ينقذ من الشدة بإذن الله، كذلك النبي والولي ينقذان من الشدة بإذن الله تعالى.

---

(١) السبكي، **شفاء السقام**، ص٣٦٣.

(٢) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله، وكانت ولادته في سنة اثنتين ومائتين، من كتبه "**السنن**" و"**المراسيل**" و"**كتاب الزهد**"، وتوفي سنة خمس وسبعين ومائتين. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٤٠٤. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٣، ص٣١٣.

-السِّجِسْتاني أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي (-٢٧٥هـ/٨٨٨م)، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء، حديث (١١٦٩)، ج١، ص٣٠٣.

تنبيه: فليعلم أنّ مانعي التوسل ليس لهم حجة صريحة من القرءان صريحة من السنة بل يذكرون قول الله تعالى في كفار قريش وهم يعبدون الأصنام، ﴿**مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ**﴾(١). والجواب عن الآية أنّ أولئك عبدوا الأصنام فسجدوا لها واتخذوها آلهة، ونحن لم نتخذ الأنبياء والأولياء آلهة ولم نعبدهم، لذلك قال تعالى يصف عبدة الأوثان: ﴿ **وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً**﴾(٢) فسقط احتجاجهم.

وفي الحقيقة هؤلاء ينكرون التوسل بتضعيف الأحاديث الواردة في التوسل، وليسوا أهلًا لذلك، وبتأويل الأحاديث وصرفها عن ظاهرها تأويلًا باطلًا، وباعتمادهم على الرأي الفاسد في إبطال الحديث، فإذا مرّ بهم حديث لا يوافق أهوائهم قالوا هذا الحديث لا يقبله العقل والرأي، وكأنّ الحديث تابع لعقولهم.

---

(١) سورة الزمر، آية: ٣.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٢٥.